موقفنا من الحضارة

للأستاذ قدري حافظ طوقان

تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير في الأوضاع والمرافق، فقد غزا جميع نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، جسيمها وتافهها، ودخل في الطعام والشراب، في الترف والنعيم، في الحقل والبيت، في الحرب والسلم.

وأصبحنا لا نعيش إلا في جواء من العلم، ولا نسير إلا على طريقة تحيط بنا الاكتشافات وتكتنفنا الاختراعات، فآثار العلم بادية في كل مكان وأصوله متغلغلة فيما جلّ من الشئون وما هان.

سرّح الطرف وانظر ما أخرجه العلم من مميزات ومعجزات في عالم الصناعة والآلات، تجد أن العلماء استغلوا الطبيعة والكيمياء والهندسة وما إليها فأتوا بالكهرباء وقالوا لها كوني نوراً فكانت، كوني ناراً فكانت، كوني حركة فكانت المحركات تسير في ركابها القاطرات والساريات والطائرات كما تدير الآلات، تعمل ما يعمله الإنسان بيديه وما لا يستطيع، ولكن بقوة وعزيمة ودقة قاربت حدود الكمال.

ثم أتى إلى الأمواج اللاسلكية وجعلها رهن إرادته، فإذا المستحيل ممكن بل واقع، وإذا الإنسان يملأ بها الجواء تحمل له الأنباء والأخبار والصور. واتجه العلماء إلى الإنسان وجسده فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة وقواعد الصحة وأسباب الأمراض ووسائل العلاج فتفنن في صنع الأدوية والأمصال واستخرج من العفن البنسلين والفينيسيلين فأتى بالعجب العجاب من فتك بالجراثيم والأمراض وإبادة آثارها وما تتحفه من آفات.

ولم يقف الغرب عند هذه الحدود، بل أقام الزراعة والفلاحة والاقتصاد والتجارة والتعليم والسياسة على أساس من العلم فدانت هذه المآرب وغاياته ونجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال إنسان.

وجاء بعد ذلك إلى الشرق فدرسه وخبر أحواله، ورأى أن من حقه استعماره واستغلاله، كما يستغل الأرض ويستعمرها، وهكذا كان وهذا ما هو جارٍ الآن فإذا الشعوب كالحديد والنحاس تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس، وتُسَخَّر لمصالحها وغاياتها، ذلك لأن الغرب سار على مقتضى العلم يستخدمه في الحياة والعمران بينما الشرق بقي بعيداً فلم يَسِرْ في حياته وفق العلم ولم يدرك بعد أن العلم هو الذي يدفع الأمم دفعاً في مضمار التقدم، وأن لا حياة لأمة تعيش بعيدة عن العلم وآثاره، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته على العلم، فهو مفتاح النهوض وهو أُسُّ الارتقاء في معارج المجد والخلود.

هذا هو طابع المدنية الحديثة — طابع العلم — الذي دخل في صميم الحياة وانبثّت حقائقه في شؤونها العملية منها وغير العملية.

هذا هو الوجه الحسن في الحضارة الحالية والجانب اللامع منها.

ولكن مهلاً ... هناك ناحية ضعف أدت إلى ما نراه في المدنية من أفلاس، ومن عدم ملاءمتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل.

لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب، فأعلوا من شأن العقل والعلم علواً كبيراً، وحكموا العقل في القلب كما حكموا العلم في الدين فنتج عن ذلك ما نراه من فوضى خلقية وحروب طاحنة رهيبة، فاستأسدت الغرائز وأسرفت المطامع فإذا آلة العلم تتجه نحو التدمير والتخريب والفتك والتقتيل حتى أصبحت القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها، ولو تدخل القلب واتجهت آلة العلم نحو البناء والأعمار والخير والكمال لسمت المدنية وارتفع شأن الإنسانية ولسار العلم في خدمة الحياة وإعلاء مقامها.

ومن هنا يتبين أن الأمم لا تصلح بالعلم بقدر ما تصلح بالقلب والأخلاق، وأن التقدم الذي وصل إليه الإنسان — وقد توافرت فيه أسباب الرفاهة والرخاء — لم ينج الإنسانية من المصائب المحيطة بها ولا من الأهوال التي تنصب عليها.

هل قضى هذا التقدم على المشاكل العديدة التي يعانيها المجتمع؟

الواقع المشاهد أن المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواء كما سلبت العالم راحة البال وطمأنينة النفس، ذلك لأن حكمة الإنسان قد قصرت عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية غير

حاسبة حساباً للخلق العالى ومعانى الحق والواجب والمثل العليا .

والذى يخشاه كبار الفلاسفة أن الحكمة البشرية إذا أفلست فى النهوض بعبء ادماج العلم فى أغراض الروح والخلق استمرت هذه القوى فى اتجاهها نحو التدمير وهددت بزوال ما بقى من معالم الحضارة وآثار الفكر والعقل .

وعندئذ يسكن العلم المصنع ، ويطغى العلم على القلب ، والماديات على المعنويات فتبقى الحضارة على مشاكلها والناس فى قلقهم والأفكار فى اضطرابها وتتضاعف متاعب الإنسان وتزيد تعقيداً فلا يخرج من فوضى إلا ويجابه فوضى أشد وأنكى فلا راحة ولا أمان ، ولا سلام ولا اطمئنان .

وعلى هذا فالعلم وحده لا يكفى لوضع حد لشرور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفى للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا والأخلاق الفاضلة كما يجب أن تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين العلم والروح كما تلائم بين العقل والقلب . والحياة لا تكون آمنة يسودها رحمة وسلام إذا طغى العلم على الأرواح والأوضاع ، بل إنها لا تكون نامية راقية إذا لم تسر على وحى القلوب ولن يستطيع الإنسان أن يرد عن الحياة الآثام والشرور والمفاسد إذا حكم العلم وحده منصرفاً عن معانى الخير والجمال .

والعيش لا يصفو فى جو مادى تفرغ فيه القلوب وتمتلئ به الجيوب ، والأعصاب لا تهدأ وهى عرضة للنزعات التى تذكيها المادية ! وهل لحياة قيمة بل هل يكون لها روعة إذا بعدت عن المعنويات وهزأت بالروحيات ؟.

إن العلم قد وضع فى أيدينا قوة عظيمة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والروح انقلب إلى قوة هدامة مدمرة . وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج لتجنى منها الإنسانية قوى الخير والبناء والأعمار .

وعلى المفكرين والمعاهد أن يحاولوا الساهمة فى هذا السبيل ويسيروا بجهودهم فى طريق ادماج العلم فى أغراض الروح العليا حتى يعرف الناس كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالاتهم بنفحات روحية وعلى أساس من الخلق متين .

يهمنا ألا يغتر الناس بهذه الحضارة وأن لا يسيروا وراءها دون روية وتمحيص ، وأن لا يأخذوا بآراء القائلين بالسير مع المدنية والانغماس فى ماديتها ونبذ التقاليد الشرقية والعربية وقطع كل صلة بالماضى .

يظن كثيرون من الشباب أن قطعة صغيرة من طائرة أو سيارة أفضل لنا من كل ما ورثناه من خلق ومعنويات وتراث روحى خالد .

لقد شط الفكر . انظروا إلى أوربا فعندها الاختراع وعندها الآلات ، وعندها المصانع والأدوات ... انظروا ماذا حل بها ؟ وكيف حالها فى هذه الأيام ؟ نظروا إلى العلم لكنهم لم يعبأوا بالقلب أو الروح .

نظروا إلى النجوم ، لكنهم لم ينفذوا بصيرتهم إلى الله وراءها.

ماذا كانت النتيجة ؟ كروب أحاطت بهم وحيرة انتابتهم فإذا هم فى جحيم يتلظى وفى دنيا من نار ودخان .

لا كانت مدنية ، ولا كان علم يقود العالم إلى هذا الدمار وإلى هذه الفوضى فى الخلق والأوضاع .

ليس العلم كل شىء فى هذا الوجود .

إن الأخلاق والمعنويات شىء عظيم فى هذا الوجود . والإنسان لا يكون الرجل الذى ينشده الدين والفضيلة إلا إذا صح إيمانه بالله وحكم القلب على العقل والمعنويات على الماديات .

والمدنية لا تكون سامية فاضلة إلا إذا سيرت العلم مع القلب والعقل مع الإيمان واليقين .

إذا أيقن الإنسان أنه عماد أمته ، به يرتفع شأنها وبه تقوى وتزداد حيويتها ، إذا أيقن أنه من وثبات مجدها ومن خفقات قلبها وأن أعز الناس حياة أعمقهم تفكيراً وأنبلهم شعوراً وأصلحهم عملا ... عندئذ فهو الجدير بالحياة الكريمة وحمل أمانتها وتبعاتها .

إن الجماعة إنما تصلح بالخلق والضمير لا بالعلم .

وأن النفوس لا تقوى إلا بتذليل الصعاب ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار ، وإن من يقف أمواله وأيامه وجهوده على إمتاع نفسه لا يعرف الحياة لأنه لا يعرف الوطن .

وأخيراً إن العلم وحده نقمة وشقاء وهدم وتدمير .

وإن العلم لا يزكو ولا يثمر ولا يصبح أداة خير وبناء وإصلاح إلا على أساس من الروح والخلق العالى ، وإن الرجل العظيم هو الذى يرشد بالمعرفة والعطف لا من يستفز بالتحكم والبطش وإن أعظم الجماعات أقواها قلباً وأحياها ضميراً .

(نابلس) فوزى حافظ طوقان

شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البـــــابى الحلبى وأولاده بمصر

شارع الشيخ محمد عبده رقم ١٢ بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ — ص . ب النورية رقم ٧١

أقدم بيوت النشر فى مصر . . . وأعظم المؤسسات الفنية فى عالم الطباعة . . . زودت المكتبة العربية بأنفس الكتب القديمة والحديثة في امين والأدب . . . وغذت النهضة الفكرية بخير ما أنتجته القرائح فى كل علم وفن . . . وشجعت النابغين على استغلال مواهبهم فى التأليف والترجمة . . .

وكل ذلك فى :

إتقـــــان عجيب

واقتصـــــاد مفيد

ومعاملة حســـــنة

الفهرس : يرسل مجانا

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

أروع عمل أدبي في هذا العام

فيجو . لامرتين . دي موسيه . دي فيني . فرلاين

حياة هؤلاء العباقرة الخالدين ومذاهبهم الشعرية ، واتجاهاتهم الفنية مع ترجمة أخلد آثارهم شعراً إلى العربية.

ومن الفصائد المترجمة :

الضمير « لفيجو » ، والوحدة « للامرتين » ، وليلة مايو « لدى موسيه » ، وموت الذئب « لدى فيني » ... وغير ذلك

كل ذلك في كتاب :

أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم

للشاعر المعروف

الأستاذ العوضي الوكيل والسيدة سي عبد الرازق صبري

صدر اليوم وثمنه ١٦ قرشاً عدا البريد

ويطلب من أول المؤلفين بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا القاهرة ، أو من مكتب الشرق الأوسط للنشر ٥٨ شارع الفجالة ومن المكتبات الشهيرة . بادر باقتناء نسختك الجملة خصم خاص .

تجديد

لن تجد في هذه الكتب الآراء جديدة مرة صريحة ونحن نسألك أن تقرأ هذه المجموعة كلها أو بعضها التي صحة ما نقول

(١) البعث أو مذهب السلام ثمنه ٢٠ خلاف البريد
(٢) لا أومن بالعقل « ١٠ « «
(٣) مع عقلاء الأنس ومجانين الجن « ٦ « «
(٤) هل أفلست حضارة أوربا « ١٠ « «
(٥) محاكمة الزمن أو طه حسين نفد
(٦) أيامي أو فلسفة الحياة نفد

للأستاذ

محمد العماوي

تطلب هذه الكتب من دار الفكر الحديث للطبع والنشر بالمالية بالقاهرة ومن مكتبة النهضة المصرية بشارع عدلي باشا بالقاهرة .

تقدم :

دار إحياء الكتب العربية

لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركائه

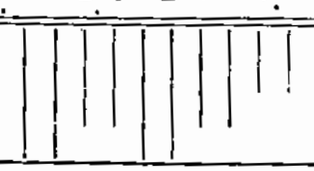

وقعة صفين

لنصر بن مزاحم المنقرى

أقدم مؤلف يجلو حوادث هذه الوقعة الرهيبة

وينتظم في أثنائه كنوزاً من أشعار الملاحم . . .

وأرجازها بلغت نحو ٢٥٠٠ بيتاً ... كما تضمن ٧٠ رسالة و ٦٤ خطبة من عيون

رسائل صدر الإسلام وخطبه ... وقد ذيل بفهارس تحليلية دقيقة تقع فى ١١٥ صفحة

قام بتحقيقه وشرحه

عبد السلام محمد هارون

المدرس بجامعة فاروق الأول

ثمن النسخة ٨٠ قرشاً صاغاً عدا البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر فى محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى إبتكار أحدث الرسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت إهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلاً عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزيعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

ولزيادة الاستعلام خابروا

قسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)